النسر العربي[1]

حلق النسر في الفضاء بعيدا،
رجع النسر في الفضاء شهيدا، —
شهيداً يكفنه السحاب،
شهيداً تشيعه النجوم،
شهيداً نعته شمس الضحى،
شهيداً حمله أكف السماء،
فكان عليًّا، وكان وحيدا.

***

نسر العروبة مدرجةُ البطحاء، ومشحذ جناحيه جبالُ الرسول.
نسر العروبة حبيبُ الحرَم، وربيب البوادي.
ان البادية مرضعته، والخيام مأواه، والرمال فراشه وملعب صباه.
نسر العروبة في حمى الحريّة —
طليقٌ جريءٌ، وديعٌ أبيٌّ، أنيسٌ وفيٌّ.
نسر العروبة في ظلال قدسية —
شفيق كريم، طهيرٌ حليمٌ، قويٌّ تقيّ.
تبارك الحمى، وتباركت المراتع والرمال.
تبارك الاوتار، وتباركت السجايا.
فمن جبل النور نورُهُ، ومن المضارب شعورُهُ.

(١) تليت في حفلات الاربعين لفقيد العرب وكبيرهم الملك فيصل التي اقيمت في بغداد ودمشق والقدس

من قمم الهدى [1] شممته ، ومن ربيع الطائف زهوره .

***

وقد كتبت له الهجرة ليتم الله خلقه فيه.
فكان من العُرْب، وكان من السراة .
بل كان في الصروح الفخمة مثله في بيوت الوبَر .
وكان في المجالس المهيبة مثله في فسيح العَراء .
فمن بساتين يلذ سوسن مبسمه ،
ومن مياه آسية [2] حلو شمائله ،
ومن بلوج الفجر على ضفاف البسفور بهاء طلعته.
ومن ذهب الشفق على حواشي مرمرة ذهبُ نطقه .
ومن ظلال السرو في جوار ايوب تلك الوداعة فيه وتلك السكينه .

***

نسر العروبة ربيب العاصمتين ، عاصمة الرسول ، وعاصمة الخلافة.
عاصمة الحق والهدى ، وعاصمة السياسة والدهاء .
فرجت يد الاقدار شرابه ، وفتحت للنبوغ ابوابه .
ثم همست في اذن النسر تقول :
ان وراءك ثلاثمائة والف سنة من النُّبل، وامامك ابدية من الآمال.
ان وراءك امة الكهف وقد هجعت ستمائة سنة ، وامامك اعلام اليقظة والجهاد .
سمع النسر ووعى ، وراح يغذي الاماني ، ويستنهض الهمم .
ثم عاد الى وطنه ، ليجاهد في سبيل قومه
فاستشق الحسام باسم الله ، وباسم العرب .
ونادى المنادي : الثورةُ ، الثوره
فهبت في البوادي رياح السموم .
وفزع الى فيصل البدو والحضر ،

(١) جبل الهدى قرب الطائف
(٢) اشارة الى الينابيع التي تدعى مياه آسية الحلوة في مرمرة

وهللت للحسين ابيه المدن والواحات .
وكان الجهاد ، وكان النصر ، وكان الفتح الجديد .

***

امة الكهف — ها كها ، بعد ستمائة سنة ، تدهش المستيقظين .
وهاك فيصلها ، وقد كتب لاعلامه الفوز المبين .
ها كه بجيشه الظافر في العاصمة الاموية ،
بل في قلبها ، وقلب ابنائها ، عزيزاً كريما .
هو العيد .
واجل ما فيه دمشق تغرد الاغاريد .
هوذا المُلْك العربي الجديد ،
وهي ذي ربة التاريخ تنبيء بالبعث والخلود .
ولكن هناك ، على ضفاف التيمس ، شهوداً يذبذبون .
وهناك ، على ضفاف السين ، الخصوم .
راح فيصل يستأنف الجهاد في بلاد المهيمنين على مقدرات الامم .
فوقف في باريس ، في مجلس المستهزئين ، ونطق بالحق المبين .
فكان كالحمل بين النمر والاسد[1] .
بل كان ، والحق حليفه ، كالاسد المفرد بين الثعالب والذئاب .
فعاد وحليفه الوحيد يقول : الاستقلال يؤخذ ولا يعطى .
فنشطت الامة ، واخذت حقها .
فكان الاستقلال ، وكان التاج ، وكانت ميسلون .

حلق النسر في الفضاء بعيدا .
رجع النسر في الفضاء شهيدا .

***

ليس في حقائق الوجود كلها انصع من حقيقة البعث والخلود .
ليس في مظاهر الكون جمعاء اروع من مظهر الاستمرار والتجدد .
شمس الطبيعة في قلب السنين فتحيي في غسوطها الراحلة املاً ابديًّا .

(١) أي كليمنصو ولويد جورج

يضم الله في حقيبة الربيع المودّع حفنةً من بذوره الخالدة .
يكفن الله الشتاء الراحل بكفن من الثلج المبطن بالأزهار الناثمة حول القبور .
يمر سرب القطا راحلاً راجعاً بين فصلي القنوط والرجاء .
تغرد القُبَّرة على غصنها الطري وتذهب ، ثم تعود الى التغريد .
رحلة يتبعها أوبة ، وأوبة يتلوها رحيل .
ومثل الربيع ، ومثل القُبَّرة ، ومثل عواصف الشتاء ، ما لبث النسر أن عادَ الى الجهاد

***

عاد فيصل ينشد في العراق الامل الاعلى — املَ الامة المنكوبة بالانتدابات وبالجهل[1] — املاً ضاع وما اضمحل .
عاد يشيد على ضفاف الرافدين ملكاً عربيًّا جديدا .
عاد يجدد في عاصمة الرشيد والمأمون عصر العلم والهدى : عصر المدنية والفلاح ، عصر الثقافة والنور .
ولقد شيد الملك وجاهد اثني عشرة سنة ليوطد اركانه .
وما جاهد هاهنا بسيفه ، بل بما هو امضى وأعزّ واغلى .
جاهد بعقله ، جاهد بقلبه — وجاد بعد ذلك بروحه .
جاهد بكل ما استطاع ان يحشد وينظم من جيش السلم والولاء — من العلم والحكمة ، من الحلم والكياسة ، من ثبات عِدة اليقين ، من دهاء يبرره الحق المغلوب ، ومن حزم تتناوبه الصلابة واللين .
وكانت محجته واحدةً في كل حال من احواله — واحدةً ناصعةً بارزه ، لا تغيرها الاحداث ، ولا تحول دونها قوى المبطلين .
وحدة العراق وحرية العراق واستقلاله ، تلك هي المحجة العليا .
وكانت الطريق اليها كدرب الصليب الى الجلجثة .
لله انت يافيصل العرب ويارب الوثائم ، ياسفيل بيت الرسول ويا سفي المسيح .
فقد حملت صليب العراق والانكليز اثني عشرة سنة كاملة .
وقد اجتزت المراحل المضنية المخزية كلها ، وانت تبتسم وتكظم وتمشي — تمشي صامد الرأس ، عالي الجبين ، شديد اليقين ، وطيد الامل .

(١) اشارة الى تقسيم البلاد العربية الشمال وبعضها جنوبي

قلت : تمشي ، وما قلت : تطير .
فكم مرة طرت لاغراضك العالية وأمعنت .
كم مرة تحديت ، على تحول جسمك ، العواصف والأنواء .
لقد كنت حقاً نسر العروبة بين العاصمتين ، عاصمة الرشيد وعاصمة ابناء العم
الصامت اولي الوجوه المشرقة والقلوب المغلقه .
وقلت إنه حمل الصليب اثنتي عشرة سنة وهو يبسم ويكظم على الدوام .
عفوك ايتها الروح الزكيه ، اذا انا قلت الحقيقة كلها .
فقد بكى فيصل ، ايها الناس ، نعم بكى . وما رأت الأمة ، عين قلبه الدامعه ، وما
سمعت جهش قلبه الاليم .
حلق النسر في الفضاء بعيدا .
رجع النسر في الفضاء شهيدا .

***

سيدي فيصل ، قد زرعت بستاناً في العراق ، ورحلت قبل ان تراه مثمرا .
قد زرعت بذوراً في البلاد العربية ، ورحلت قبل ان تراها في ازدهار .
زارعٌ يزرعُ ، وحاصدٌ يحصدُ ، وقمرٌ يسخر ولا يستقيم .
ولكنك اليوم وغداً رمز هذه الامة وشعارها ، وقلبها وعقلها ومنارها .
وان في نور هداك لسلك السالكون والمجاهدون .
وان فرخ النسر لفي مقدمة المجاهدين .
فهو الغازي ، وهو للعهد ضمين
ولما كنت عليه الخلف الكريم
فقد كنت في الحرب فيصلاً عاصلاً ، وفي السلم الوديعَ الجريءَ الصفي .
كنت في السياسة عينها الباصره ، وميزانها السوي .
كنت في الكياسة طلعتها الساحرة ، ونطقها الذهبي .
كنت في الحذق عنوانه ، وفي الحزم برهانه ، وفي الشدة واللين المثل العليّ .
كنت في الدهاء معاوية ، وفي الصبر والاباء الشريف الرضي .
كنت في الحلم صِنْو الرسول ، وكنت في الوداعة ابا الناصري .
لقد اثرت قلوب المهيمنين هناك على ضفاف التيمس والسين .

فصاروا يرون ما تراه حقًّا، ويكبرون جهادك في سبيله .
ولكنهم اعداء انفسهم ، فلا يرضون ولا يعدلون .
بل هم عبيدٌ لفيصل ، وعشيئته هم مسيَّرون .
انا محبون لاخواننا هناك ؛ نريد لهم الخلاص من البعل .
نريد لقومهم شيئًا من الحق ، ولا يريدون لحقنا شيئًا من القوّة .
وهم مع ذلك يبسمون ويجاملون .
اولو الوجوه المشرقة والقلوب المغلّقة انهم المبلبلون .
او هي الاقدار الباسمة الساخره .
تفرش لفيصل الرمال الذهبية في مدينة القباب ، [1] وتغدر بامة فيصل يوم تكريمه واجلاله —
تطعنها ، يوم عيده ، في الصميم .
عاد فيصل طائراً مؤاسيا .
ضمد فيصل جروح الامة ، وانعش قلبها .
ثم عاد المؤاسي ينشد في جبال الالب بلسماً لقلبه ، مرهماً لجروحه .
طار مجاهداً — طار مستشفياً — طار مستشهداً — عاد بروحه .

***

حلق النسر في الفضاء بعيدا
رجع النسر في الفضاء شهيدا —
شهيداً يكفنه السحاب ؛
شهيداً تشيعه النجوم
شهيداً نعته شمس الضحى ،
شهيداً حملته اكف السماء ،
فكان عليّاء وكان وحيدا .

الفريكة لبنان في ٢٠ (سبتمبر) سنة ١٩٣٣ امين الريحاني

(١) عندما وصل الملك فيصل الى لندن في زيارته الاخيرة ، فرشت له الطريق من المحطة الى القصر بالرمل الاحمر رمزاً لبلاد العربية واكراماً للملك العربي العظيم.